

المحاضرة السادسة عشر:

"أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ". «فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَعْمَالًا كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا» (يو 10: 30-33)

4- لاهوته في يوحنا 10:

فهم اليهود من كلام المسيح في السابق أن هناك إلهين لذلك نجد المسيح في (يو 10: 30) يقول: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ". وبالتالي فقد فهموا قصده بأنه هو الله ذاته وبالتالي فقد كان رد فعلهم في آية 31 "فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ". وذلك تطبيقاً لشرعية موسى حيث من ينسب ما هو لله لنفسه فقد جدف ويستوجب العقوبة بالموت رجماً من كل الجماعة. وعندها أجابهم يسوع بأنهم إذا لم يصدقوه من أجل كلامه فكان لابد لهم من أن يصدقوه من أجل أعماله: "أَعْمَالًا كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟" لكنهم تجاهلوا ما قاله لهم وردوا عليه: "لَسْنَا نَرْجُمُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا". وقد كرر المسيح هذا الإعلان ثلاث مرات آخر: مرة لليهود ومرة ثانية للتلاميذ والثالثة خاطب بها الآب.

- لليهود في (يو 10: 38): "لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ".

- للتلاميذ في (يو 14: 10): "أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ وَالآبُ فِيَّ؟ الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الْآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ".

- في مخاطبته للآب في صلاته الكهنوتية في (يو 17: 21): "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِيْنَا".

5- لاهوته في يوحنا 14:

لكن هناك كلمة قالها المسيح في (يو 14: 28) قد تسبب بعض اللغط: "سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي". حيث أراد المسيح أن يعزيهم ويفرحهم ويوضح لهم أنه من الأفضل رجوعه للآب وهنا لا يعني بالطبع أن الابن أقل من الآب لا في المركز ولا في الطبيعة ولا في الجوهر ولا في الكرامة ولا في المكانة لأنه سبق بالقول أنه هو والآب واحد ولكن الذي يقصده هنا هو صورة المجد الحالي الظاهر به في الجسد هي أقل من صورة مجد الآب لأنه ظهر في الهيئة كإنسان واجتاز كل ما يجتازه الإنسان وفي (مز 8: 5) يقول عن التجسد: "وَتَنْقُصُهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ"، حيث قليلاً يقصد بها مدة التجسد (33.5 عاماً) بحيث أنه عندما كان في الجسد احتاج أن يظهر له ملاك من السماء ليقويه في البستان ليلة آلامه المقدسة وهذا لا يتعارض مع كون كل المجد في داخله لكنه أخفى مجده في ناسوت، لذلك لكي يعزي التلاميذ أوضح وجوب رجوعه لكامل مجده السماوي ولذلك نجده في (يو 17: 5) يقول: "وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ".

فهل صدق اليهود ما أعلنه لهم المسيح أنه هو الله الظاهر في الجسد؟ وحتى لو لم يصدقوه بسبب الكلام فهل صدقوه بسبب الأعمال؟ وهنا نجد القديس يوحنا يختم الأصحاح (12: 38) بقوله: "لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَ: «يَا رَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ وَلِمَنْ اسْتُغْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ (الابن) «لِهَذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لِأَنَّ إِشْعِيَاءَ قَالَ أَيْضًا: «قَدْ أَعْمَى عْيُونُهُمْ، وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ، لِكَيْ لَا يُبْصِرُوا بِعْيُونِهِمْ، وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَزْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ»». قَالَ إِشْعِيَاءُ هَذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ." ورفض اليهود هذا نجد المسيح في الجزء المتبقي من إنجيل يوحنا سوف ينزل عن الجموع وينفرد فقط بتلاميذه وبهذا نأتي للقسم الثالث في إنجيل يوحنا من الأصحاح 13 حتى الأصحاح 17.

القسم الثالث: من (ص13) إلى (ص17):

حيث يعلن المسيح هنا لاهوته لخاصته التلاميذ وبدأ المسيح هذا القسم في ص 13 بأمرين في غاية الأهمية:

✚ غسل أرجل التلاميذ والذي في معناه اللاهوتي أنهم على مشارف رؤية اعلانات إلهية عظيمة حيث ينقيهم من فكر اليهود و العالم وترابه ليعلم لهم لاهوته.

✚ خروج يهوذا من معية المسيح ليتفق مع اليهود.

-(يو 14: 1): " «أَنْتُمْ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي.»

-الحديث مع توما على مرأى ومسمع من التلاميذ في (يو 14: 4-7): "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِإِيَّائِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنْ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ." فنحن نعرف أن الله يحب الخطاة ويتعاطف مع الضعفاء ويقبل توبة الإنسان عندما رأينا المسيح يفعل هكذا.

-الحديث مع فيلبس على مرأى ومسمع من التلاميذ عندما طلب منه: " «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الْآبَ وَكَفَانَا»" حيث حنين الإنسان إلى رؤية الله على حسب ما جبل عليه آدم في الفردوس فرد عليه المسيح في (يو 14: 9-14): " قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَيْتَ فَقَدْ رَأَى الْآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الْآبَ؟ أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ؟ الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَمْتُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الْآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ. صَدَّقُونِي أَنِّي فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ، وَالْآبُ فَصَدَّقُونِي لِسَبَبِ الْأَعْمَالِ نَفْسَهَا. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لِأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّ جَدُّ الْآبِ بِالْإِبْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ."

-مخاطبته الآب على مرأى ومسمع من التلاميذ في (يو 17: 10): "وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ." (وذلك في الربوبية و الأزلية واللامحدودية والقدرة والخلق والإيمان والسجود والعبادة). وفي (يو 14: 13-14): " وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّ جَدُّ الْآبِ بِالْإِبْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ." والسجود هو للمسيح كما للآب مثلما نجد مع المولود أعمى (يو 9: 34-38): " فَأَخْرَجُوهُ خَارِجًا. فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجًا، فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟» «أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لِأَوْمِنَ بِهِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ.»!

فَقَالَ: «أَوْ مِنْ يَا سَيِّدُ!». وَسَجَدَ لَهُ. "وهنا نجد الإعلان عن ألوهيته وبالتبعية فقد سجد له المولود أعمى سجد عبادة وليس سجود احترام ولذلك عندما سجد يوحنا الحبيب للملاك نهاه الأخير عن هذا حيث لا يجب السجود له فهو مخلوق أما المسيح فلم ينهى المولود أعمى من السجود الذي للعبادة لأنه هو الله.

القسم الرابع: الأصحاح 18 و 19 (موته):

حيث أن الأحداث المرتبطة بموته (خمس أحداث) فإنها تشهد للاهوته:

- i. القبض عليه في البستان (يو 18: 1-9): "فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُودًا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». أَجَابَ يَسُوعُ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هَؤُلَاءِ يَذْهَبُونَ.»" فهم لم يقتحموا البستان عليه ولكنه هو من خرج إليهم إلى باب البستان حيث عنده العلم الكامل بمجيئهم فهو الله، وهنا لم يقبضوا عليه قهراً لعدم حيلته وضعفه، وعندما سألهم عما يطلبون وقالوا له "يسوع الناصري" فعندما رد "إني أنا هو" فقد رجعوا للوراء وسقطوا على الأرض حيث "أنا هو" هو إعلان الإلوهة.
- ii. أعلن المسيح إنكار بطرس وهذا لمعرفته بالغيب وهو الأمر الذي لا يخص سوى الله وحده وتم هذا الإعلان في (يو 18: 15-27)، وقد ذكر في أشعياء: "أَخْبِرُوا بِالْآيَاتِ فِيْمَا بَعْدُ فَتَعْرِفَ أَنَّكُمْ آلِهَةٌ." (إش 41: 23).
- iii. عند وقوف المسيح أمام بيلاطس نستشف رعب بيلاطس في وقوفه أمام المسيح ففي (يو 19: 7-8): "أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ إِبْنَ اللَّهِ». فَلَمَّا سَمِعَ بِيَلَاطُسُ هَذَا الْقَوْلَ زَادَ خَوْفًا." فهو من البدء يملأه الخوف وهو واقف أمامه وعندما سمع قول اليهود زاد خوفه بالأكثر.
- iv. كذلك في محاكمة بيلاطس له في (يو 18: 36-38) عندما سأل المسيح: "فَقَالَ لَهُ بِيَلَاطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذَا مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: "أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ." فالمسيح كاشف لما داخل بيلاطس بأنه في حالة رهبة لوقوفه أمام ملك في جلاله. ومن هنا أكمل المسيح إعلانه: "لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي" حيث الفعل "أتيت" يثبت لاهوت المسيح في إرادته في المجيء للعالم لاتمام رسالة الفداء وهذا ما يثبت وجوده الأزلي قبل الدخول في دائرة الزمن بالتجسد.
- v. هناك ثلاث أمور تخص إعلان لاهوت المسيح وهو على الصليب:
1- (يو 19: 28): "بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانٌ»." بالرغم من حالة الإعياء الشديدة التي كان فيها المسيح لكننا نجد في كامل الوعي حتى أنه يتمم جميع النبوات التي كانت عن آلامه من جلد، دق المسامير، السخرية، ولكي يتم الكتاب قال "أنا عطشان" وهي النبوة التي جاءت في (مز 69: 21): "وَفِي عَطْشِي يَسْقُونَنِي خَلًّا."

2-(يو 19: 30): "وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ." حيث نفهم أنه سلم روحه للموت بإرادته وليس رغماً عنه فالطبيعي أن تؤخذ روح الإنسان منه ثم ينكس رأسه ولكن هنا العكس كما نجد في (يو 18: 10): "لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيُّضًا."
 3-(يو 19: 33-34): "وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ (حيث المصلوب يكون دائم الحركة الرأسية من أعلى لأسفل ليتمكن من التنفس ولكنهم وجدوه لا يتحرك فعلموا موته وبالطبع كسر الركب حتى لا يتمكن المصلوب من هذه الحركة الرأسية فيموت سريعاً) لَكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ (بلازما الدم)." وخروج الدم والماء (والذي على حسب الترحمتين القبطي واليوناني تفيد اندفاقهما بكمية كبيرة كنبيح) هنا ضد الطبيعة البشرية حيث يتجمد الدم في جسم الميت ولا يخرج بهذه الصورة وهذا ما يثبت أن المسيح هو حيّ بلاهوته الذي لم يفارق ناسوته.

القسم الخامس: الأصحاح 20 و 21 (قيامته):

دخل المسيح إلى العالم بطريق لم يسبقه إليه أحد من خلال أحشاء مختومة والتي بقيت هكذا حتى بعد الولادة حيث لم يكسر لها بتولية وبنفس الطريقة خرج من القبر الموضوع عليه حجر، وفي أحداث القيامة ظهر المسيح للمجدلية كفرد، وللتلاميذ العشرة ثم الأحد عشر كمجموعة وذلك في مساء القيامة وكذلك بعدها بأسبوع وظهر لهم في العلية في مكان مقفول وكذلك في مكان مفتوح في النهار لسبعة من التلاميذ على بحر طبرية وهذه الظهورات تدحض القول بأن ما رآه كان مجرد خيالات وأوهام مما يؤكد لاهوته.

في حديث المسيح لتوما أكد لاهوته فعندما قال توما في (يو 20: 25): "إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لَا أُوْمِنُ." نجد المسيح يظهر له ويقول له في (يو 20: 27): "هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأُبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا." وهنا المسيح يرد على كلمات توما بالتفصيل حيث أنه سامع وحاضر للحوار بقوة لاهوته، فصرخ توما في (يو 20: 28): "رَبِّي وَالْهِي!". معترفاً بربوبيته وألوهيته، وعاتبه يسوع في (يو 20: 29) على أنه آمن لأنه رأى وكان المفروض أن يكون هذا الإيمان بدون رؤية: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا.»" وهنا المسيح قبل إعلان الألوهة من توما بل وبخه على إعلان إيمانه متأخراً (من كلامه - تعاليمه - أعماله - صفاته).